أبعاد المنظومة القيمية في التعليم الجامعي ودورها في تكريس النزاهة الأكاديمية

دراسة نقدية في المقاصد والرهانات

ط.د. رضوان رياح جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة

ط.د.فريدة صغير عباس جامعة الجزائر3

ملخص الدراسة:

لقد جرى العرف على النظر إلى التعليم العالي بوصفه مؤسسة اجتماعية، والمؤسسات الاجتماعية بطبيعتها لها رسالة، وقيم ومسؤوليات محددة كانت في السابق تتصف بقدر من الثبات، لكنها أصبحت في العقود الأخيرة عرضة للتغير السريع، فمحراب القيم الدينية الذي كان محور العمل الجامعي منذ نشأة الجامعات، طغى عليه فيما بعد البعد الأكاديمي، الذي جعل من المعرفة وتقاليد إنتاجها، وطقوس العلم المميزة المحراب الجديد، ثم جاءت قيم السوق لتلوث هذا المحراب وتفسد الكثير من ممارسات البحث العلمي، وتملأ أجواءه بتضارب المصالح، وتنشر فيه ممارسات الغش عند الطلبة وأزمة الالتزام عند الأساتذة مما أثر بشكل واضح على النزاهة الأكاديمية لهذه المؤسسات ومنتجاتها،الأمر الذي أدّى إلى طرح أسئلة محرجة على قدرة الجامعات على تقديم الخير العام للمجتمع، وتحقيق القيم التي طالما سعت الجامعات إلى تحقيقها، مثل قيم المساواة والعدل والأمانة العلمية والنزاهة الأكاديمية، وهو نفسه الأمر الذي دعا إلى وضع الجامعات في موقع المساءلة عن قدرتها على تحقيق التوازن بين تقديم الخير العام للمجتمع، والمستوى الأكاديمي، ومتطلبات السوق.

الكلمات المفتاحية :القيم، التعليم الجامعي، النزاهة الأكاديمية.

Summary of the intervention:

Traditionally, higher education has been seen as a social institution, social institutions by their very nature have a message, values and responsibilities that in the past have been fairly stable, but in recent decades they have been subject to rapid change. The religious values that have been at the center of university work since the inception of universities, It was later dominated by the academic dimension, which made the knowledge and traditions of its production, the rituals of science characteristic of the new mihrab, and then came the market values to pollute this niche and spoil many scientific research practices, and fill the atmosphere of conflict of interest, Which have clearly affected the academic integrity of these institutions and their products, which has led to the question of embarrassing the ability of universities to provide the public good of society, and achieve values that have long sought by universities, such as the values of equality and justice, scientific honesty and academic integrity, which is the same Called for putting universities in the position of accountability for their ability to balance the provision of public good to society, academic level, market requirements.

key words.Values, university education, Academic Integrity

مقدمة :

لقد أدخلت العديد من التغيرات على واقع التعليم العالي في معظم أنحاء العالم، فالتوسع الكمي الهائل وتحول الجامعة من مكان للعلم إلى حقل للاستثمار سمح لأعداد كبيرة جداً من الطلبة أن يلتحقوا بالدراسة الجامعية، وبالتالي حصل تغيّر كبير في نوعية الطلبة في الجامعات وإلى مدى أقل بقليل في نوعية الأساتذة الجامعيين، كما خضعت الجامعة إلى ضغوط داخلية وخارجية للمساءلة ، وهذه التحولات طرحت أسئلة حول ما إذا كانت معايير السلوك القيمي والأخلاقي المترجمة في الأمانة العلمية والنزاهة الأكاديمية بقيت مسألة مشتركة بين جميع المدرسين، كذلك طرحت أسئلة حول ما إذا كانت الأعراف والتقاليد والتوقعات السلوكية موضع قناعة مشتركة لدى الطلبة الجامعيين، ولا شك في أن ذلك يجعل الجامعة في مواجهة تحديات أخلاقية حقيقية، ونتيجة لهذا العوامل حصل تغير في بؤرة اهتمام التعليم العالي، فبدلاً من القيم الداخلية التي ارتبطت بالدراسة والبحث في الجامعات في صورة البحث العلمي والفكري تحول اهتمام الجامعة تحت تأثير هذه الضغوط إلى القيم الخارجية التي تبحث عن نتائج اقتصادية في المقام الأول مع إهمال وتقصير واضح في نزاهة المنتجات الجامعية ومدى عدم مراعاتها القيم الأخلاقية، من هذا المنطلق جاءت هذه الورقة البحثية لتتقصى أبعاد المنظومة القيمية في التعليم الجامعي ودورها في تكريس النزاهة الأكاديمية عبر المحاور الآتية:

- ماهية القيم
- المناخ القيمي في التعليم العالي
- مجالات التدافع القيمي في التعليم الجامعي
- الجهود الدولية لدعم القيم في التعليم الجامعي
- الجهود الإقليمية لدعم القيم في التعليم الجامعي
- نماذج تشريعات القيم في التعليم الجامعي
- الالتزامات الأخلاقية للهيئة الجامعية

1-ماهية القيم :

1-مفهوم القيم : تعددت وجهات النظر بشأن تحديد مفهوم القيمة على الرغم من التطورات الكثيرة التى طرأت على هذا الميدان المعرفى، ويرجع ذلك إلى عدم وضوح المفهوم من ناحية وتعدد مجالات القيم من الناحية الأخرى، بالإضافة إلى اختلاف الاعتبارات الأيديولوجية والمدارس الفلسفية لدى المفكرين والعلماء والفلاسفةفهناك من ينظر للقيم منمنظور فلسفيإذ ينظر المثاليون للقيم على أنها مطلقة وثابتةلاتتغير بتغير الزمان والمكان، مصدرها عالم المثل، وهناك الواقعيون والبراجماتيون والوجوديون الذين ينظرون للقيم على أنها تعتمد على خبرة الإنسان وذكائه وتجاربه الحياتية، ولذلك فهى نسبية تتغير بتغير الزمان والمكان والمواقف التى يتعرض لها، وتقاس أهمية القيم بمدى نفعها والتنمية التى تعود بها على الإنسان، أما الفلسفة الإسلامية فتوازن بين وجهات النظر السابقة، فتؤكد على وجود قيم مطلقة لا تتغير وهى التى ورد فيها نص صريح ووجود قيم نسبية متغيرة تتعلق بحياة الأفراد [1].

وهناك من ينظر للقيم على أنهااعتقاد،فالقيمة هى المعتقدات التى بمقتضاها يتوجه الإنسان إلى السلوك الذى يرغبه أو يفضله[2]، ويؤكد ذلك (ليموس Lemos) بقوله إن القيم مفاهيم مجردة ومتوافرة فى أفكار ومعتقدات الأفراد كالعدل والإيثار والتعاون والإخلاص والتضحية [3].

وينظر للقيم من جانب آخر على أنهامعايير،حيث عرفها"أبو العينين" على أنها "معايير اجتماعية ذات صيغة انفعالية قوية وعامة تتصل من قريب بالمستويات الخلقية التى تقدمها الجماعة، ويمتصها الفرد من بيئته الاجتماعية الخارجية ويقيم منها موازين يبرر بها أفعاله ويتخذها هادياً ومرشداً، وتنتشر هذه القيم فى حياة الأفراد فتحدد لكل منهم خلانه وأصحابه وأعداءه" [4].

وقد عرفها "على الطراح" بأنها "معايير للسلوك والاتجاهات المرغوبة وغير المرغوبة التى يكسبها المجتمع لأفراده من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية التى تقوم بها الأسرة كمؤسسة اجتماعية، والمدرسة كمؤسسة تربوية، ووسائل الاتصال الجمعى المتمثلة فى الإذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح والصحافة، والكتاب، والمسجد والكنيسة....إلخ، وهى تعد من أهم موجهات السلوك الفردى والجماعى، وتلعب وظيفة رئيسية فى تنظيم العلاقات الاجتماعية سواء بين الأفراد بعضهم البعض أو بين الأفراد والنظام السائد، وتتميز منظومة القيم بالثبات النسبى" [5].

كما ينظر للقيم من زاوية أخرى على أنها تفضيلات : فيعرف شارلز موريس (Morris)القيم على أنها "السلوك التفضيلى"، ولذلك صمم "موريس" مقياساً يتكون من ثلاثة عشر أسلوباً لمعايشة الحياة، وعلى المفحوص أن يضع تقديراً لكل منها على أساس مقياس تقدير يتكون من سبع درجات تتراوح بين "أحب هذا الأسلوب للغاية إلى أمقته للغاية" ومن خلال تفضيل أسلوب من هذه الأساليب يمكن استنتاج ما يتمثله الفرد من قيم فى حياته [6].

وهناك من يربط بينالقيمة والاتجاه،حيث إن القيمة هى تنظيم للخبرة تنشأ فى موقف تفاضلى،وتنمو وتتناسق حتى تصبح وحدة معيارية ثابتة تقريباً فى الضمير الاجتماعى للفرد، فى حين أن الاتجاه هو تنظيم للخبرة من نوع خاص يلون سلوك الفرد [7]،والفرد لا يولد مزوداً بأى قيمة نحو أى موضوع خارجى وإنما يكتسب قيمه فى سياق احتكاكه بمواقف كثيرة ومتباينة فى بيئة يكون لها تأثير عليه فيتكون لديه بعض الاتجاهات الخاصة التى تتجمع بعد ذلك فيما يسمى بالقيم[8]ويؤكد ذلك مورى Murray بقوله : "إن القيم تمثل موقف الفرد نحو الأشخاص والأشياء وتكون مرتبطة بالاتجاهات التى تكون بمثابة مؤشر رئيس لها، وهى تتحدد فى إطار العلاقة بين الفرد وبين الخبرات التى يكتسبها، أو يتعرض لها فى موقف معين [9]".

2- تصنيف القيم :

رغم تعدد المحاولات من جانب الباحثين لوضع تصنيف للقيم، إلا أنه لا يوجد تصنيف واحد متفق عليه حتى الآن، فلقد بدأت المحاولات فى هذا الإطار منذ القدم حينما حدد أفلاطون الطبيعة والحق والفضيلة، ولهذا يعد تصنيف أفلاطون الثلاثى من أشهر وأقدم تصنيفات القيم من الناحية الفلسفية[10]،وهذا معناه أن عملية التصنيف تختلف باختلاف المعيار الذى تصنف على أساسه.

فهناك تصنيف سبرنجر spranger الذي يعد من أشهر التصنيفات في مجال القيم ،حيث قام بتصنيفها طبقا لعدة أبعادمنها بعد المحتوي الذي شمل القيم النظرية، والسياسية ،والدينية، والاجتماعية ،والجمالية، والاقتصادية،ثم بعد الشدة وشمل القيم الملزمة والقيم التفضيلية والقيم المثالية، ثم بعدالمقصد، الذي شمل القيم الوسائلية والقيم الغائية،ثم بعد العمومية، الذي شمل القيم العامة والقيم الخاصة،ثم بعد الوضوح الذي شمل القيم الحركية والقيم الضمنية،ثم بعد الدوام الذي شمل القيم الدائمة والقيم المؤقتة[11].

وهناك تصنيف كاظم الذي شمل عدة مجموعات قيميةمثل مجموعة القيم الأخلاقية ،ومجموعة القيم الذاتية ،ومجموعة قيم الأمن ،ومجموعة القيم الجسمانية ،ومجموعة القيم الترويحية،ومجموعة القيم العملية ومجموعة القيم المعرفية ، ومجموعة القيم المتنوعة [12].

وهناك تصنيفابوالعينينوالذي يتعلق بأبعاد شخصية الإنسان وجوانبهامن وجهة نظرإسلامية،ويشمل البعد المادي والبعد الخلقي والبعدالعقلي والبعدالجمالي والبعدالاجتماعي[13].

I. المناخ القيمي في التعليم العالي :

لقد حصل تغير كبير في واقع التعليم العالي في معظم أنحاء العالم، فالتوسع الكمي الهائل وتحول الجامعة من مكان للعلم إلى حقل للاستثمار سمح لأعداد كبيرة جداً من الطلبة أن يلتحقوا بالدراسة الجامعية، وبالتالي حصل تغيّر كبير في نوعية الطلبة في الجامعات وإلى مدى أقل بقليل في نوعية الأساتذة الجامعيين، كما خضعت الجامعة إلى ضغوط داخلية وخارجية للمساءلة ، وهذه التحولات طرحت أسئلة حول ما إذا كانت معايير السلوك الأخلاقي بقيت مسألة مشتركة بين جميع المدرسين، كذلك طرحت أسئلة حول ما إذا كانت الأعراف والتقاليد والتوقعات السلوكية موضع قناعة مشتركة لدى الطلبة الجامعيين، ولا شك في أن ذلك يجعل الجامعة في مواجهة تحديات أخلاقية حقيقية، ونتيجة لهذا العوامل حصل تغير في بؤرة اهتمام التعليم العالي، فبدلاً من القيم الداخلية التي ارتبطت بالدراسة والبحث في الجامعات في صورة البحث العلمي والفكري تحولت اهتمام الجامعة تحت تأثير هذه الضغوط إلى القيم الخارجية التي تبحث عن نتائج اقتصادية في المقام الأول[14].

ومع ذلك فإن بعض الجامعات أخذت تطور برامج جديدة لتعليم القيم والأخلاق، ليس من قبيل فرض نظام اعتقادي أو ديني معين، بل من باب إتاحة الفرصة للطلبة لكي يفكروا بوضوح في المسائل الأخلاقية وفي نتائج سلوكهم على أنفسهم وعلى غيرهم. وتقوم بعض هذه البرامج على دراسة النماذج التاريخية والنصوص ذات القيمة المهمة، إضافة إلى الخبرات التي يكتسبونها من النشاطات غير المنهجية مما يشجع التفكير الأخلاقي ويبلوره، ويعين على التفكير في المسائل والممارسات التي يعطونها قيمة عالية ويحترمونها ويطمحون إلى أن يتصفوا بها، ومن الأمثلة على برامج التربية الأخلاقية التي تقدمها الجامعات برنامج كينيان الأخلاقي في جامعة ديوك في ولاية نورث كارولانيا الأمريكية،ويعتمد البرنامج على تقديم مساقات في موضوعات الأخلاق في التخصصات المختلفة اعتباراً من السنة الجامعية الأولى، ويتيح المجال للمشاركة في نشاطات وخدمات اجتماعية تسمح بمحطات للتفكير حول انعكاسات ما يقوم به الطلبة على أنفسهم وغيرهم[15].

ويقصد بالمناخ القيمي والأخلاقي في الجامعة مجموعة العوامل الإدارية والتربوية التي تحرص على إيجاد علاقات إنسانية إيجابية تسود بيئة الجامعة، ويشعر فيها أفراد المجتمع الجامعي من فئاته المختلفة بالرضا النفسي والدافعية للأداء الجيد والإنجاز المتميز، ويستمتعون بالانتماء لهذه البيئة الجامعية وبالتقيد بمتطلبات هذا الانتماء، وكل جامعة يسود فيها مناخ أخلاقي يميزها عن البيئات الأخرى في المجتمع وربما يميز كل جامعة عن غيرها، ويتعرض المجتمع الجامعي بين الحين والآخر لهزات عنيفة سببها وقوع مشكلات أخلاقية معينة ترتبط بقضايا التدريس أو البحث العلمي وتنال بعض أساتذة الجامعة أو بعض الطلبة، ومن أمثلتها عدم تحقيق العدالة والإنصاف لشخص معين أو لفئة معينة والتحيّز أو التمييز ضدها، والسرقات العملية، والغش في الامتحانات والتزوير في بيانات البحوث والتحريف في نتائجها، والفساد الإداري أو المالي.

وقد وجدت بعض الدراسات أن المناخ الأخلاقي في الحرم الجامعي وسيلة مهمة جداً للاحتفاظ بالطلبة وعدم انتقالهم إلى جامعات أخرى؛ وذلك أمام التوسع الكبير في أعداد الجامعات والتنافس على استقطاب الطلبة فيها أو الاحتفاظ بهم، ولذلك تحرص الجامعات على توفير صور مختلفة من الحوافز لعلّها أفضلها هو نوعية التعليم الذي تقدمه الجامعة، ونوعية المناخ العام الذي يسود الجامعة ويكون عامل جذب للطلبة. ولهذا الغرض طوّر الباحثون أدوات مناسبة لقياس المناخ الأخلاقي. وفي الدراسة التي قامت بها Laura Schulteوزملاؤها في جامعة نبراسكا[16]، استخدمت مقياساً يتكوّن من عدد كبير من الفقرات. وقد أصبحت فقرات المقياس المستعمل مؤشرات مهمة لتنبيه أعضاء هيئة التدريس والطلبة إلى العوامل التي تؤثر سلباً على المناخ الأخلاقي في الجامعة حتى يتجنبوها، وأنّ عليهم خلق بيئة تعلّم إيجابية.

وفي السياق نفسه بينت دراسة أخرى[17]. أن بيئة التعلم الجامعي التي تحرص على العلاقات الإنسانية الإيجابية توفر مناخاً أخلاقياً يسهم في الاحتفاظ بالطلبة، كما كشفت دراسة ثالثة عن أن المناخ الأخلاقي في البيئة الجامعية يسهل النمو الأخلاقي في الاتجاه الإيجابي من سنة إلى أخرى[18].

وقد كثر الحديث عن دور الأستاذ الجامعي وإدارات الجامعة في إيجاد المناخ الأخلاقي والمحافظة عليه، لمعالجة الاتجاهات العدمية والعبثية والساخرة والساخطة في أوساط طلبة الجامعات، حيث وجد أن هذه الاتجاهات ناتجة في كثير من الأحيان عن حالات الإحباط التي يواجهها الطلبة، نتيجة بعض الممارسات التي يقوم بها الأساتذة والإداريون، ويشعر فيها الطلبة بعدم الإنصاف أو العشوائية في المعاملة؛ الأمر الذي يشعرهم بالرغبة في التحرر من القيود وممارسة السلوك غير الأخلاقي، وعدم استنكار مواقف أولئك الذين يقومون بهذا السلوك[19].

ومع أن أهداف التعليم العالي تتوزع على عدد من فئات الأهداف: المعرفية والشخصية والاجتماعية والمدنية...، فإن أهداف التعليم العالي التي يتم التركيز عليها في الممارسة العملية للقياس والتقويم تقتصر غالباً على الجانب المعرفي، وتترك الأهداف الأخرى ليكون مصيرها الإهمال[20]، وقد نبهت بعض المراجع المتخصصة في التقويم التربوي إلى ضرورة تطوير اختبارات متخصصة لأن: "المزيد من الاختبارات المقننة يمكن أن تعطي بيانات عن نمو الطلبة في المجال الانفعالي الناتج عن التعليم الجامعي"[21] وتلفت الانتباه إلى مضامين هذا المجال وتؤكد أهميتها.

وعلى كل حال فإن نتائج التعليم في مجال القيم لا تظهر بعد التعليم مباشرة وإنما تحتاج إلى وقت قد يكون طويلاً، فقد بدأت كلية الأعمال في جامعة هارفارد برنامجاً لتنمية القيم والأخلاق سنة 1987 استمر خمس سنوات في مرحلته الأولى، وفي عام 1993 صدر كتاب يتحدث عن هذه التجربة الطويلة، العميقة، المتعددة المناشط، ويبرز المؤلف كثيراً من أوجه نجاح التجربة، لكنه يحذر القارئ من الحكم على التجربة الآن، "وعليه أن ينتظر عشرين سنة قبل أن يصدر الحكم[22]."

I. مجالات التدافع القيمي في التعليم العالي :

يمثل التعليم أحد المجالات المهمة في ترسيخ القيم؛ لذا أصبح محط اهتمام كل من يسعى لترسيخ قيمه في المجتمع، وأصبحت القوى المتصارعة والمتدافعة ترى أنه ميدان سباق وتنافس لتحقيق رؤيتها للقيم،ويمكن أن نصنف مجالات التدافع القيمي في التعليم العالي إلى المجالات الأتية :

-المجال الأول "القوانين والأنظمة":يعدُّ المدخل التشريعي المتمثل في الدساتير والقوانين والأنظمة، من أهم مفاتيح ومداخل التغيير في المجتمعات، وهو من مجالات الصراع بين حملة الأفكار والتوجهات المختلفة؛لذا فقد سعت القوى الخارجية إلى استخدام هذا المدخل أداةً لحرب القيم الإسلامية، وتسويق القيم الغربية، ونصت عدد من الاتفاقيات الدولية على التغيير في التشريعات المحلية بما يتسق مع منظومة القيم الغربية،وبالرجوع إلى الدساتير والأنظمة في الدول العربية نجد حضوراً للقيم، وتأكيداً على صلتها بالتعليم، وأنها أحد أهدافه وغاياته[23].

- المجال الثاني "فلسفة التعليم وغاياته":تدعو الاتجاهات التغريبية في عالمنا الإسلامي إلى عَلمنة التعليم، وتفريغ محتواه وأن فلسفته وغاياته يجب أن تتمحور حول إعداد الفرد للحياة الدنيوية، وحول النهضة الحضارية المادية، ومن ثم فلا مجال لديهم في أن تحوي غايات التعليم وفلسفته جانباً قيمياً رسالياً،ويوضح الكيلاني أثر العولمة في نشر القيم الغربية في التعليم، فيقول: «المناهج التي يجري تنظيمها من الإدارة التربوية للعولمة لا تمدّ الدارسين بالمعارف والمهارات والاتجاهات التي ترتقي بالإنسان وتؤهله للمشاركة في صنع مستقبله، وهي تتجاهل العلوم التي تعرّف الدارسين بهوية الإنسان وحقوقه التي أقرّتها وجاءت بها الشرائع السماوية والفلسفات الإنسانية، وتتجاهل الأعمال والمؤلفات الرفيعة، وتقلل من قيمة علمائها والمختصين بها، وتقوم الآن بصياغة هذه العلوم على هذه العلوم على أسس اقتصادية نابعة من نظريات رأس المال البشري»[24].

- المجال الثالث "المناهج":تمثل المناهج ترجمة لرؤية التعليم وفلسفته، وتتجلى فيها غايات التعليم وأهدافه، وفيها يتلقى المتعلم المعرفة والاتجاهات والمهارات التي تبني شخصيته وتشكّلها.

وباعتبار المناهج تمثل المخرج النهائي لفلسفة التعليم ومعبّرة عنه، أصبحت من أكثر مجالات الصراع والتدافع، ومتابعةُ ما يكتب حولها وما يثار من القوى الداخلية والخارجية من أكبر المؤشرات على عمق التدافع والصراع في هذا المجال.

-المجال الرابع "الأستاذ":الأستاذ هو من يتعامل مع الطالب وهو من يُتوقع منه أن يسهم في تعزيز القيم وبناء شخصية الطالب،والمتأمل في واقع التعليم العالي يرى أن هناك قصوراً واضحاً في أداء الأساتذة في

غرس القيم وتنميتها بسبب فقدان رجل التعليم وضعه الاعتباري ومنزلته القيمية في المجتمع (يعبّر عن ذلك مجتمعياً ما يتداول من نكت حول شريحة من رجال التعليم)؛ فيتلازم مع ضعف التقدير المعنوي ، حيث يقف المجتمع موقف تبخيس فعل المدرس ونزع الثقة منه وتحميله مسؤولية أوضاع شريحة من المتخرجين في مجتمع ينحو نحو الأمية وإن كان يسعى في محوها».

وقد سعى عدد من القيادات العَلمانية في العالم العربي إلى الضرب على وتر المعلم، وتوظيف هذا الجانب في نشر القيم العَلمانية والحماية من اختراقها – كما يرون -، ففي سورية بدأت وزارة التربية السورية بإبعاد نحو 1200 معلّمة من السلك التربوي؛ بسبب ارتدائهن النقاب، في خطوة وصفها وزير التربية السوري «علي سعد» بـ «الحفاظ على هوية العمل العلماني الممنهج»[25].

الجهود الدولية لدعم القيم في التعليم الجامعي :

نصت وثيقة "الإعلان العالمي حول التعليم العالي للقرن الحادي والعشرين: رؤية وتنفيذ"[26] التي أصدرتها اليونسكو عام 1998 على حاجة التعليم العالي إلى تنوع واسع، ووعي كبير على الأهمية الحيوية للتطور الاجتماعي/الثقافي والنمو الاقتصادي وبناء مستقبل الأجيال القادمة المسلحة بمهارات ومعارف ومُثل عديدة جديدة، ولاحظت الوثيقة أن المجتمعات المعاصرة في العالم تمرّ في أزمة عميقة في مجال القيم ، لذلك أشارت في عدد من موادها إلى ضرورة تبني قيم خاصة للتعليم العالي (المادة الأولى) وتطوير أدوار المسؤولية الأخلاقية (المادة الثانية)، وتحديد معايير أخلاقية (المادة السادسة) وضرورة أخذ القيم الثقافية الوطنية بعين الاعتبار (المادة الحادية عشرة).. وهكذا.

وقد نصّ الاتحاد الدولي للجامعاتUniversitiesAssociation ofInternational في تعريفه برسالة الاتحاد على سعيه لدعم القيم الأكاديمية الجامعية مثل الحرية الأكاديمية، واستقلال الجامعات، وحق المعرفة للجميع، واحترام الاختلاف في الرأي، وواجب الجامعات لتطوير الفكر الناقد في البحث عن الحقيقة، ومع ذلك فقد نصّ الاتحاد أيضاً على دعم القيم الأخلاقية في عمل الاتحاد في المجتمع، وعلى مسؤولية الجامعات - بوصفها مؤسسات اجتماعية- عن توجيه التعليم والبحث لخدمة المجتمعات، وتطوير مبادئ الحرية والعدل والتنمية، إضافة إلى صون الكرامة الإنسانية والتضامن بين البشر[27].

II. الجهود الإقليمية لدعم القيم في التعليم الجامعي :

* على المستوى الإقليمي العربي :

تأسس اتحاد الجامعات العربية وعقد الاتحاد اجتماعه الأول في عام 1969 ،وقد نصّ النظام الأساسي على أن الهدف الأساس للاتحاد هو دعم الجامعات العربية في إعداد الإنسان القادر على خدمة أمته العربية ،وتحقيق تطلعاتها وذلك بالعمل على أن تلتزم الجامعات العربية بالقيم النابعة من عقيدة الإسلام ورسالته الخالدة وتطبيعها فكراً وعملاً[28].

وقد تأسس اتحاد جامعات العالم الإسلامي عام 1995، وجاءت صياغة أهدافه بصورة فنية عامة تركز على الإجراءات، ولكن أحد الأهداف وضع على كاهل الاتحاد: "التصدي للغزو الثقافي والفكري الذي تتعرض له الأمة الإسلامية عن طريق العناية بالتراث الإسلامي وحفظه ونشره وبيان مكانته وأثره وإبراز مساهمات

العلماء المسلمين في تطوير الحضارة الإنسانية،" أما في خطة عمل الاتحاد للسنوات 2004-2006 فقد ورد في محور التعليم العالي وقضايا العصر (المحور الرابع) العبارة الآتية: "فمؤسسات التعليم العالي في العالم الإسلامي أصبحت تحتضن الآن مراكز متطورة للبحث العلمي في شتى اختصاصاته، وهي تجد نفسها حالياً أمام خيارات حاسمة وتحديات جسيمة، قد يكون الغرب حسمها بناءً على منظوره الخاص، ويحاول دفع جامعاتنا نحو توجهات لا تتماشى دوماً مع المقاصد والقيم الإسلامية، ولذا يتوجب عليها أن تحتاط لهذا الوضع، وتشكل موقفاً يسعى الاتحاد إلى تنسيقه وبلورته ومتابعته..."، كذلك ورد في خطة الاتحاد المشار إليها قرار تنظيم ندوة حول التطبيقات العلمية وأخلاقياتها من منظور إسلامي. (البند IV.I.I)[29].

* على المستوى الإقليمي الأوربي وأمريكا الشمالية :

أورد المركز الأوروبي للتعليم العالي في تقرير خاص عن الاتجاهات والتطورات التي حدثت في التعليم العالي في أوروبا، ونشر عام 2003[30] ما يؤكد أهمية معالجة التوتر القائم في الجامعات الأوروبية بين الاعتراف الأكاديمي بالتدريب والمؤهلات العلمية المناسبة لسوق العمل من جهة، وبين النظام التقليدي للقيم الأكاديمية من جهة أخرى، كما أبرز التقرير الحاجة إلى مواجهة الأسئلة الشائكة المتعلقة بالقضايا الأخلاقية والحريات الأكاديمية وهجرة العقول[31]، وبينما رصد التقرير المذكور عدداً من الاتجاهات التي يحدث فيها تغيير جدري يتعلق بالتعليم العالي، فإنه أشار إلى الجهود التي تقوم بها السلطات الحكومية والمنظمات الدولية والجامعات نفسها، لضبط نوعية التعليم والمحافظة على القيم التقليدية للتعليم العالي، ولاحظ التقرير تطور التعليم العالي في أوروبا في اتجاه بلورة نموذجين متنافسين، يؤكد الأول على القيم الأكاديمية التقليدية، ويطرح الثاني قيماً آخذة في التمايز تتعلق بالاستجابة لسوق العمل ومتطلبات اقتصاديات المعرفة.

وفي بريطانيا تنظم جمعية البحث في التعليم العالي Society for Research in Higher Education مؤتمرها السنوي هذا العام في كانون الأول (ديسمبر) 2004 بجامعة برستول بعنوان "التعليم العالي لمن؟ القيم العامة والخاصة واقتصاد المعرفة"، وتؤكد محاور ورقة عمل المؤتمر على موقع القيم والثقافة ومجالات القيم ومستوياتها في التعليم الجامعي[32].

أما الولايات المتحدة الأمريكية فإن الاتحاد الأمريكي للتعليم العالي American Association for Higher Education يتجنب أن يذكر في وثيقته الرئيسية -التي تبين الرؤية العامة للاتحاد ورسالته ومبادئه– مصطلحات القيم والأخلاق بشكل صريح، ويلجأ بدلاً من ذلك إلى التأكيد على الجهد المشترك للجامعات الأعضاء في تطوير صور البحث العلمي والنمو المهني للعلماء والمفكرين، والإبداع، والمسؤولية المدنية، وواجب المواطنة، إضافة إلى بناء الجماعة العلمية التي يسود أجواءها تقدير الآراء واحترام التعددية والاختلاف،مع ذلك فإنه عند الدخول في تفاصيل البرامج والنشاطات التي يقوم الاتحاد بالإشراف عليها للتنسيق بينها، بالتعاون مع الجامعات أو المؤسسات البحثية المتخصصة، نجد أن مصطلحات الأخلاق والقيم تأخذ موقعها المتميز في صورة أطر وموجهات للبحث والتدريس الجامعي والعمل العلمي، ومثال ذلك البرنامج الذي يقوم الاتحاد منذ سنوات بتنفيذه بالتعاون مع "أكاديمية كارنيجي للعمل العلمي في التدريس

والبحث"، وصدر عن البرنامج كتاب متخصص في أخلاقيات العمل العلمي وتتناول فصول الكتاب الأطر الأخلاقية الموجهة لقضايا البحث العلمي والتعلّم والتعليم الجامعي.

ونستطيع أن نلاحظ الظاهرة نفسها فيما يتعلق بالاتحاد الأمريكي للجامعات Association of American Universities والاتحاد الأمريكي لأساتذة الجامعات American Association of UniversityProfessors وغيرها من الاتحادات وذلك بالنظر في الوثائق التي تحدد رؤيتها ورسالتها وتفحُّص الدوريات العديدة التي تصدرها.

وقد اعتبر اتحاد الجامعات الأمريكية أن هذه الجامعات يجب أن تبقى مفتوحة للطلبة والزائرين من جميع بلدان العالم لأنهم وسيلة أمريكا في نشر القيم الديمقراطية،فبعد أحداث 11 سبتمبر 2001 اتخذت سلطات الهجرة في الولايات المتحدة الأمريكية إجراءات تحدّ من حصول الطلبة على تأشيرات الدخول إلى الولايات المتحدة الأمريكية لأغراض الدراسات العليا، وقد أدّى ذلك إلى احتجاجات شديدة من الجامعات وبخاصة الجامعات البحثية الكبرى التي يأتي للدراسة فيها أفضل العقول من مختلف أنحاء العالم.

وفي دعمه لإجراءات تسهيل مجيء الطلبة والأساتذة الزائرين إلى هذه الجامعات، نشر "اتحاد الجامعات الأمريكية"[33]على موقعه في الانترنت مقالة أورد فيها واحدة من الحجج المهمة في هذا الشأن حجة تعتبرها مهمة للغاية، وهي أن "مثل هؤلاء الطلبة والأساتذة هم وسيلة لنشر القيم الديمقراطية في أنحاء العالم،" ولذلك "تعد جهود الاستمرار في مثل هذه العلاقات ضمن المصالح الاقتصادية والاستراتيجية بعيدة المدى لأمريكا[34]."

وفي سياق الحريات الواسعة المتاحة للأفراد وجماعات الضغط والمصالح في مجالاتها السياسية والأكاديمية والمهنية، نجد في الولايات المتحدة مؤسسات جامعية عديدة تتعامل مع قضايا القيم والأخلاق بصورة واسعة التعدد، منها ما يضيق ذرعاً بمحاولات الفئات المختلفة ممارسة حقها في الحرية وتبنى القيم الخاصة بها، ومنها ما يتصدى للدفاع عن هذه الحقوق، وفي هذا السياق يكون من الجدير ذكر "جمعية القيم في التعليم الجامعي" Society for Values in Higher Education التي تعود جذور تأسيسها إلى عام 1923 ولكنها تطورت لتأخذ شكلها واسمها الحالي عام 1975، وتعقد مؤتمراً سنوياً تقدم فيه البحوث والدراسات وتنظم الدورات التدريبية وورش العمل في قضايا القيم في التعليم الجامعي[35].وقد عقد المؤتمر السنوي للجمعية في الفترة ما بين21-27 تموز (يوليو) 2004 في جامعة هامبتون في فرجينيا، بعنوان: "البقع الساخنة: المحلية والعالمية، السياسية والتربوية"، ومن بين محاوره: قاموس القيم في التعليم الجامعي، الثقافة المقارنة والدين، الثقافة الشعبية، الدين والعنف، مستقبل الأخلاقية العامة، الإسلام، وقد نظمت على هامش المؤتمر ورش عمل يناقش فيها أساتذة الجامعات دور القيم في تشكيل الممارسات التعليمية الجامعية ونشاطات تعلّم وتعليم القيم وتقويم تعلم وتعليم القيم.

III. نماذج تشريعات القيم في التعليم الجامعي :

نصّ قانون التعليم العالي والبحث العلمي في المملكة الأردنية الهاشمية على عدد من أهداف التعليم العالي تتوزع في مجموعات يمكن التمثيل عليها بالقيم الروحية والأخلاقية والوطنية والاجتماعية والعلمية.. ومن أمثلة ذلك ما ورد في البنود الآتية من المادة الثالثة من القانون[36]:

- تعميق العقيدة الإسلامية وقيمها الروحية والأخلاقية وتعزيز الانتماء الوطني والقومي.

- رعاية النهج الديمقراطي وتعزيزه بما يضمن حرية العمل الأكاديمي وحق التعبير واحترام الرأي الآخر والعمل بروح الفريق وتحمل المسؤولية واستخدام التفكير العلمي الناقد.

- توفير البيئة الأكاديمية والنفسية والاجتماعية الداعمة للإبداع والتمييز والابتكار وصقل المواهب.

هـ- تنمية الاهتمام بالتراث الوطني والثقافة القومية والعالمية والاعتناء بالثقافة العامة للدارسين.

وفي هذا الشأن أوعزت وزارة التعليم العالي إلى الجامعات الأردنية الرسمية والخاصة، بتطوير مساق إلزامي يدرسه جميع الطلبة في كل جامعة، تحت مسمى التربية الوطنية، بهدف تعزيز قيم المواطنة والانتماء والولاء للوطن والدولة، وهذا المساق هو الآن في طور التطوير.

كما نصت المادة الأولى من قانون تنظيم الجامعات في جمهورية مصر العربية على أنه: "تختص الجامعات بكل ما يتعلق بالتعليم الجامعي والبحث العلمي الذي تقوم به كلياتها ومعاهدها في سبيل خدمة المجتمع والارتقاء به حضارياً، متوخية في ذلك المساهمة في رقي الفكر وتقدم العلم وتنمية القيم الإنسانية، وتزويد البلاد بالمتخصصين والفنيين والخبراء في مختلف المجالات وإعداد الإنسان المزود باصول المعرفة وطرائق البحث المتقدمة والقيم الرفيعة ليساهم في بناء وتدعيم المجتمع الاشتراكي، وصنع مستقبل الوطن وخدمة الإنسانية، وتعتبر الجامعات بذلك معقلاً للفكر الإنساني في ارفع مستوياته، ومصدر الاستثمار وتنمية أهم ثروات المجتمع وأغلاها وهي الثروة البشرية، وتهتم الجامعات كذلك ببعث الحضارة العربية والتراث التاريخي للشعب المصري وتقاليده الأصيلة ومراعاة المستوى الرفيع للتربية الدينية والخلقية والوطنية...[37].

وقد حدّدت المادة الثالثة عشرة من النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية،[38] غاية التعليم، وتضمّنت ما يلي: «يهدف التعليم إلى غرس العقيدة الإسلامية في نفوس النشء، وإكسابهم المعارف والمهارات، وتهيئتهم ليكونوا أعضاء نافعين في بناء مجتمعهم، محبين لوطنهم، معتزين بتاريخه» (النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية 1412هـ)،وقد نصت الوثيقة على أن: «غاية التعليم فهم الإسلام فهماً صحيحاً متكاملاً، وغرس العقيدة الإسلامية ونشرها، وتزويد الطالب بالقيم والتعاليم الإسلامية وبالمثل العليا، وإكسابه المعارف والمهارات المختلفة، وتنمية الاتجاهات السلوكية البنّاءة، وتطوير المجتمع اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، وتهيئة الفرد ليكون عضواً نافعاً في بناء مجتمعه» .

IV. الالتزامات الأخلاقية للهيئة الجامعية (توصيات) :

- النزاهة والإخلاص :

إن السعي لتحقيق الأمانة والنزاهة يعني رفض الفساد بجميع أشكاله،ولابد أن يبدأ هذا السعي بالذات قبل أن يشمل الغير،وهكذا فإن تطوير آداب والسلوك والأخلاقيات يجب أن يتجسد في ممارسات مثالية.

- الاستقامـة والأمـانة:

هما عنصران أساسيان فى البحث العلمي، فعلى الفاعلين من طلبة وأساتذة، أن ينأوا بسلوكياتهم عن الشبهات وأن يراعون في أداء واجباتهم ثقـة الآخرين فـي أمانـة الأستاذ والطالب الجامعيين واستقامتهم، وأن يحرصوا على تجسيد ذلك فى الواقع الملموس، وأن يتجنبوا الإهمال واختلاق نتائج البحوث أو تزييفها أو إفساد العملية التعليمية بأى صورة ضمن النزاهة الأكاديمية

- وجوب التقيد بالحقيقة العلمية والموضوعية والفكر النقدي :

يرتكز السير للمعرفة ومساءلتها وتبليغها على مبدأين أساسيين يتمثلان في تقصي الحقيقة واعتماد الفكر النقدي، فوجوب التقيد بالحقيقة العلمية يفترض الكفاءة والملاحظة النقدية للأحداث والتجريب ومقارنة وجهات النظر ووجاهة المصادر والصرامة الفكرية، لذا يجب أن يقوم البحث العلمي على الأمانة الأكاديمية.

- المقدرة والكفـاءة:

هما شرطان أساسيان للهيئة الجامعية من طلبة وأساتذة، فعلى كل واحد منهما أن يتابع التطورات فى مجال تخصصه، وأن يعمل على تنمية مهارته وقدراته بصورة مستمرة، وأن يراعى فى أداء مهامه الكفاءة والاتقان في العمل وأن يحافظ على النظام عند قيامه بأعباء وظيفته، وأن يكون صبوراً وقوراً ودمث الخلق فى معاملته مع من حوله، وغيرهم وأن يسعى إلى بلوغ ارفع مستوى ممكن فى أداء واجباته كافة.

الخاتمة :

شـهد العـالم فـي نهايـة القـرن العشـرين تطـوراً غيـر مسـبوق ووعيـاً متزايـداً علـى الـدور الحيـوي فـي التطـور الاجتماعي والاقتصادي، ومع ذلك فإن التعليم العالي هو في حالة أزمة في جميع أنحاء العالم، فبالرغم من تزايد أعداد الطلبة فإن الدعم الذي ينال التعليم العالي يتناقص، والفجوة بين الدول المتقدمة والنامية بخصوص واقع التعليم العالي والبحث العلمي في تزايد مخيف،لذلك تدعو اليونسكو إلى تأكيد بعض القيم الأساسية المتعلقة بطبيعة التعليم العالي، وبالذات الحرية والنزاهة الأكاديمية والاستقلالية المؤسسية ضمن سياق أخلاقي، كما تؤكد على أن الحلول التي يمكن اقتراحها لمواجهة التحديات لابد أن تتساوى مع القيم الثقافية والاجتماعية الوطنية، لضمان الانسجام والتماسك في كل مجتمع، وقد لاحظت الوثيقة ما أشارت إليه المناقشات الاستشارية لليونسكو -لأغراض إعداد هذه الوثيقة- الوعي المتزايد بالأخطار الناتجة عن تبني المفاهيم والقيم المستوردة وإهمال الثقافة والفلسفة القومية والإقليمية، والآثار السلبية لهذا الإهمال على التعليم ، وتلفت اليونسكو في هذا الوثيقة انتباه الدول الأعضاء إلى أن "عملية العولمة" تتطلب بالإضافة إلى الخبرة في المهنيّة المتقدمة في مجال التعليم العالي وعياً على القضايا الاجتماعية والثقافية والبيئية، الأمر الذي يؤكد دور التعليم العالي في تنمية القيم الأخلاقية في المجتمع.

قائمة الهوامش :

01-لمزيد من التفصيل يمكن مراجعة :

-ضياء زاهر : القيم فى العملية التربوية، سلسلة معالم تربوية، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 1996م0

-صلاح قنصوة : نظرية القيمة فى الفكر المعاصر، ط2، دار التنوير، بيروت، 1984م0

-سعيد اسماعيل على : فلسفات تربوية معاصرة، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الفنون والآداب، الكويت، 1995م.

-عبد الراضي إبراهيم :" موقع القيم فى بعض فلسفات التربية"، مجلة دراسات تربوية، ط16، عالم الكتب، القاهرة، 1989

-عبد الخليل مصطفى أبو العينين : القيم الإسلامية والتربية، مرجع سابق،ص33.

02-محمد إبراهيم كاظم : "التطور القيمي وتنمية المجتمعات الريفية"، المجلة الاجتماعية القومية، مجلد 7، ع3، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والمجانية، القاهرة، 1970، ص 11 .

03-Lemos. R. M. : The nature of Value, Fl. University Press, Florida, M. S. A, 1995, P. 17.

04-على خليل مصطفى أبو العينين : القيم الإسلامية والتربية، مرجع سابق، ص34.

05-على الطراح : دور التعليم ومؤسسات المجتمع المدني فى تطوير منظومة القيم فى المجتمع الكويتى، فى : رؤوف الغصينى (محرر) : القيم والتعليم، الكتاب السنوي الثالث، الهيئة البنانية للعلوم التربوية، بيروت، نوفمبر، 2001، ص 84 .

06-محي الدين أحمد حسين : القيم الخاصة لدى المبدعين، دار المعارف، القاهرة، 1981، ص 36

نقلاً عن :

07-Morris, C. Di : “Varieties for human Value” University of Chicago Press, Chicago, 1956.

08-سعد عبد الرحمن : السلوك الإنساني، ط3، مكتبة الفلاح، الكويت، 1983، ص 156.

09-يوسف سيد محمود : تغير قيم طلاب الجامعة، سلسلة قضايا تربوية، رقم 6، عالم الكتب، القاهرة، 1991، ص 33.

10-Murray, T. : Teaching Values Through General Education, New Directions for Community Colleges, 1999. PP.41-50.

11- محمد أحمد بيومي : علم اجتماع القيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص 161

12-لمزيد من التفصيل يمكن مراجعة:

-ضياء الدين زاهر : القيم والتربية، مرجع سابق، ص ص 28، 29 .

-محمد عماد الدين اسماعيل وآخرون : قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1962، ص ص 19-20 .

- المرجع السابق، ص ص 19-21 .

-على خليل مصطفى : القيم الإسلامية والتربية، مرجع سابق، ص 40 .

-فوزية دياب : القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980، ص 87 .

13-محمد إبراهيم كاظم : تطورات في قيم الطلبة،دراسة تتبعية لقيم الطلاب في خمس سنوات، الانجلو المصرية،القاهرة،1962، ص 19-20 .

14-على خليل مصطفى أبو العينين : مرجع سابق، ص 72.

15- Valey, Thomas L. Van.Recent Changes in Higher Education and their Ethical Implications, Teaching Sociology, Vol. 29 January 2001, p. 1-8.

16-Ibid., p. 187-179.

17-Schulte, Laura. et. al. Undergraduate Faculty and Students Perception of Ethical Climate and its Importance in Retention, Journal of College Students, Vol.3 No.3, 2001, pl 119-136.

18-Heverly, M. A. Predicting Retention from Students' Experiences with College Processes, Journal of College Students, Vol.1 No. 1, 1999, P. 3-11.

19-Jennings, B. Nelson, J.L. and Patens, E. Values and Campus, Liberal Education, No. 28, 1996, p. 26-31.

20-Trachtenberg, Stephen. Presidents Can Establish a Moral Tone on Campus. Educational Record, Spring 1989, p.7

21-Shavelson, Richard and Huang, Leta. Responding Responsibly: to the Frenzy to Assess Learning in Higher Education. Change: Journal of The American Association of Higher Education. Fan/Feb. 2003, p. 10-19.

22-Erwin, T. Dany.Standardized Testing and Accountability.In Burke, JosephiAchieving Accountability. San Francisco CA. John Wiley & Sons, 2005, P. 146.

23- جلال أمين : العولمة والهوية الثقافية، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ع234، أغسطس 1998، ص 60 .

24-إحسان هنيدى : "العولمة وأثرها السلبي على سيادة الدول"، معلومات دولية، مركز المعلومات القومى : سوريا، السنة 6، ع58، خريف 1998، ص 63.

25-إبراهيم مصحب الدليمى : "التنشئة الاجتماعية للطفل العربي فى ظل العولمة"، مجلة شئون عربية، ع115، مطابع جامعة الدول العربية، القاهرة، خريف 2003م، ص ص 130-131، 134 .

26-Piper, Thomas; Gentile, Mary and Parks, Sharon D. Can Ethics be Thought? See footnote no. 36, p. xiii.

27-UNESCO. World Declaration on Higher Education for the Twenty-First Century: Vision and Action. Paris: UNESCO, 1998..14، 10-9، 5-1 انظر على وجه الخصوص الصفحات

28-Htttp://www.unesco.org/iau/iau-mission.html.

29-http://www.najah.edu/arabic/conferences/najah_history/3.htm.

30-http://www.isesco.org.ma/arabic/Fumi/Charactear.htm.

31-European Center for Higher Education: Trends and Developments in Higher Education in Europe. Paris: UNESCO-CEPES, 2003.

32-http://www.srhe.ac.uk/home.asp.

33-Hutchings, Pat and Park, Menlo. Ethics of Inquiry, Issues in Teaching and Learning. Los-Angeles, CA: Carnegie Foundation for the Advancement of Teaching, 2002.

34-اتحاد الجامعات الأمريكية منظمة أمريكية تضم اثنتين وستين جامعة من الجامعات الرئيسية التي تقدم برامج الدكتوراه.

35-Association of American Universities. International Students and Faculty: Education and Security in a New Paradigm, March 2002. http://aau.edu/education/intlstudents.html.

36-Http://istprojects.syr.edu/~svhe/mission.htm.

37-قانون تنظيم الجامعات في مصر في طبعته التاسعة عشرة عام 2003 وفقاً لآخر تعديل، ص2.

38-قانون مؤقت رقم (41) لسنة 2001 الصادر بتاريخ 24 تموز (يوليو) 2001 "قانون التعليم العالي والبحث العلمي في المملكة العربية السعودية.